

كنيسة البتراء الرئيسية

*عبدالله هويلم موسى الخلايفة .د

الملخص:

تعتبر كنيسة البتراء الرئيسية من أهم وأكبر الكنائس الموجودة في مدينة البتراء ، فقد جاء بناء هذه الكنيسة وغيرها من الكنائس الأخرى خدمة للعقيدة والديانة المسيحية الجديدة التي ظهرت عقب إعلان الامبرطور قسطنطين الديانة المسيحية ديانة رسمية في البلاد، من هنا وعلى هذا الأساس فان هذه الكنائس لم تبنى فقط لإقامة العبادات والشعائر المختلفة والتقديس، بل رُحِمَا قام ببنائها أفراد أثرياء وإستخدمت بشكل خاص من قبلهم مع عائلاتهم، أو إن كثرة الكنائس يرتبط بالموقع كموقع البتراء مثلاً" كونها تقع على طرق تجارية مهمة ومُتعددة، أو إن هذا العدد يرتبط بتعدد وتنافس المذاهب المسيحية التي كانت معروفة خلال العصر البيزنطي، وبالإضافة إلى هذه الكنيسة فقد تم الكشف عن العديد من الكنائس في مدينة البتراء مثل (كنيسة الجبل والكنيسة الزرقاء وكنيسة الكتوته وكنيسة دير جبل النبي هارون)

Abstract :

Petra Main Church Consider of the Most important and Largest Existing Churches in Petra, it came to Build this Church and Other Churches the Service the new Religion that Emerged after the Emperor Constantine Religion Declaration of the Christian Religion Official in the Country, on this Basis these Churches have not adopted only to Establish Worship and Various rites and Sanctification, but Probably it Built by Wealthy Individuals and was Used in Pparticular by them With their Families, Or that the Large Number of Churches Associated with the Site of Petra, for example, being Located on the Task and Multi-Trade Routes, Or that this Number is Associated with Multiple

* - أستاذ باحث بكلية الآثار، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية.

and Competing Christian Sects that Were Known During the Byzantine Period.

In addition to this Church there are Many Churches built in Petra Such as (Blue Church Mountain Church ,Church of Katutah, Church monastery of Mount Prophet Aaron).

مقدمة:

تعتبر مدينة البتراء من المدن الاثرية المعروفة والمشهورة في العالم أجمع ولا يمكن أن نجد لها مثيلاً حيث تمثل مبانيها المحفورة في الصخر تحفة معمارية نادرة الوجود، تقع هذه المدينة في جنوب الأردن وتبعد عن العاصمة (عمان) حوالي 260 كم وتقع على خط طول 35-37 درجة شرقاً وخط عرض 30-19 شمالاً وتبلغ مساحة المدينة الاثرية حوالي 2.5 كم² ، وقد عُرفت هذه المدينة الاثرية بعدد من التسميات عبر التاريخ حيث عُرفت باسم (الرقيم) في النقوش والكتابات النبطية وأطلق عليها في العهد القديم (سلع)¹ ، وتعني الشق في الصخر، وقد ذكرها أيضاً المؤرخ ياقوت الحموي باسم (سلع) لكن الاسم المتعارف عليه الآن هو البتراء وهي تسمية إغريقية وتعني المدينة المحفورة بالصخر².

تضم مدينة البتراء الاثرية بين جنباتها العديد من المواقع الاثرية الهامة ككنيسة البتراء الرئيسية مجال هذا البحث التي تعتبر من اكبر وأجمل كنائس هذه المدينة حيث اعتمدت هذه الكنيسة الطراز البازيليكي (The Basilica style) في عمارتها حيث يُعتبر الطراز البازيليكي الأكثر شيوعاً في المنطقة³ وذلك لتمييزه بعدد من المميزات أهمها:

01 الصالة الكبيرة المستطيلة التي تنقسم طولياً إلى ثلاثة أقسام عن طريق صفيين من الأعمدة .

- 02 وجود الصالة الوسطى (Nave) و الجناحين (Aisles) الجانبين.
- 03 المدخل في أحد الجوانب القصيرة يقابلة الحنية النصف دائرية .
- 04 الأجنحة كانت يزيد عددها أحيانا" إلى خمسة أجنحة وينتهي كل جناح بحنية رئيسية.
- 05 تكون الحنايا أحيانا" نصف دائرية أو مثمثة أو بيضاوية.
- 06 يضاف إلى المدخل (Atrium) إضافي في الكنائس الكبرى الهامة.
- 07 يوجد (Martorium) علوي للسيدات لمواجهة الازدحام في الكنائس الهامة الكبرى.
- 08 كان يضاف إلى الكنيسة في مراحل لاحقة حُجرات مُتعددة الأغراض .
- 09 يقابل المدخل الأوسط عند النهاية الشرقية للكنيسة الهيكل الذي يرتفع عن أرضية الكنيسة بدرجة أو درجتين ونهاية الشرقية تنتهي بحنية وهي التي تحدد إتجاه الكنيسة وتغطي عادة بنصف قبة.
- 010 الحنية تحتوي على مقاعد لرجال الدين يتوسطها مقعد أو كرسي الأسقف الذي يتقدمة المذبح الذي يقع في مركز الحنية.
- 011 تتقدم الكنيسة من الجهة الغربية ساحة مكشوفة مُحاطة بالاعمدة والتي تحتوي عادة في وسطها على نافورة مياة .
- لقد تعددت النظريات والآراء حول أصل النظام البازيليكي في عمارة الكنائس خلال العصر البيزنطي، فمن الباحثين من يقول أن أصل البازيليكا المسيحية رُبما أخذت من قاعات الاستقبال الرومانية والغرف التي كان يتواجد فيها عرش الامبرطور⁴، ومنهم من قال أن هذا النظام قد تطور عن مُخطط البيت الروماني الذي هو عبارة عن مدخل يؤدي إلى فناء مكشوف ذو شكل مستطيل مُحاط بالغرف من الجوانب الأربعة،

وهناك رأي آخر يقول أن هذا النظام جاء من المبنى البازيليكي الذي كان يُستخدم للدفن في العصر الكلاسيكي وهو عبارة عن ساحة مركزية مستطيلة غير مسقوفة أحيطت جوانبها الثلاثة بالأعمدة، أما الجانب الرابع من المبنى فقد إحتوى على حُنية وعدد من المقاعد، أما الرأي الرابع حول أصل النظام أو الطراز البازيليكي فيقول أنه أشتق من المصليات الصغيرة (*Small Chapels*) والتي كانت في العادة تبنى فوق مباني المقابر (*Catacombs*)⁵، أما الرأي الخامس يقول أن التخطيط البازيليكي جاء مشتقا من كلمة المدرسة (*Schola*) حيث أنه ما يدعم هذا الرأي هو عند زيارة القديس بولس إلى إحدى المدارس في مدينة أفسس في اليونان أجمع الباحثين على هذا الرأي⁶، لكن الرأي الأكثر قبولا لدى دارسي العمارة المسيحية والأقرب للمنطق هو أن المصدر المعماري للكنيسة البازيلكية قد أستمد من البازيليكا الرومانية المدنية (*Civil Roman Basilica*) والتي تعددت وظائفها وأهدافها وبنيت في أماكن مُختلفة سواء كانت شعبية أو أماكن خاصة أو قصور⁷، لذلك ومن هنا يُعتبر المخطط أو الطراز البازيليكي في عمارة الكنائس البيزنطية الأكثر شيوعا في المنطقة وذلك لسهولة البناء وإمكانية توسيع الكنيسة المبنية إن دعت الحاجة وكذلك يُمكن الاختصار من مساحتها إذا لزم الأمر دون إحداث أية إشكالات هندسية⁸.

لقد كان الهدف من بناء الكنائس هو إقامة الصلوات والعبادة بالنسبة للمسيحيين بعد أن كانت تقام هذه العبادات والطقوس في المعابد الوثنية زمن الدولة الرومانية، وقد إتسعت الأهداف من وراء بناء هذه الكنائس وشملت الأمور السياسية والادبية وغيرها، حيث تميزت الكنيسة البيزنطية بأن أصبحت مركزا آخر للدولة والإمبراطورية، وأحيانا يتعدى نفوذ الكنيسة على نفوذ الدولة مما أدى إلى حدوث خلاف وشقاق بين الطرفين⁹.

1- كنيسة البتراء الرئيسية:

تقع هذه الكنيسة داخل مدينة البتراء إلى الشمال من الشارع المعبد وبالقرب من معبد الأسود المجنحة وقد تم إكتشاف هذه الكنيسة في عام 1990 ميلادي من قبل الباحث كنيث راسل (Kenneth Russell)، وقد بدأت مواسم الحفريات والتنقيب في موقع هذه الكنيسة منذ عام 1992 ميلادي ولمدة أربعة مواسم حيث أستمريت لغاية عام 1998 ميلادي وقد أظهرت هذه الحفريات أن هذه الكنيسة هي كنيسة ذات طراز بازيليكى التخطيط ثلاثية الحنى، ذات سقف جملوني وأعمدة كورنثية تعلوها زخارف نباتية وتاجياتها من الطراز المركب ، وتبلغ أبعادها حوالي (27×15.85 متر)، وقد تم استخدام الحجاره الرملية في بناء وإنشاء هذه الكنيسة¹⁰.

تتألف هذه الكنيسة من صالة وسطية أو صحن (Nave) عرضها (7.85) متر وقد تم تبليط هذه الساحة بالرخام والحجارة الرملية ويوجد بها رواقان أحدهما من الجهة الشمالية والآخر من الجهة الجنوبية، أما من الجهة الشرقية للكنيسة فيوجد ثلاثة محاريب أو حنى أكبرها الأوسط منها ويوجد للكنيسة خمسة مداخل إثنان في الجدار الشمالي وثلاثة مداخل بالجدار الغربي للكنيسة.

2- الأعمال الزخرفية في مبنى الكنيسة:

من خلال مشاهدة الأعمال الزخرفية بأنواعها وأشكالها في مبنى كنيسة البتراء الرئيسية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- 01 الزخارف الرخامية والحجرية التي تغطي منطقة الميكل والصحن الرئيسي للكنيسة.
- 02 الأرضيات الفسيفسائية التي تغطي منطقة الجناح الشمالي والجنوبي لمبنى الكنيسة.

فيما يتعلق بالنوع الأول فقد جاءت الأعمال والأرضيات الرخامية والحجرية لتغطي قسماً "كبيراً" من منطقة صحن وهيكل الكنيسة حيث كانت تتألف من مجموعة من اللوحات الهندسية المنتظمة التي تم تشكيلها باستخدام مجموعة من البلاطات الحجرية والرخامية بأشكال هندسية مختلفة مثل المربع والمستطيل والسُداسي والدائري، وقد إستطاع الفنان البيزنطي من خلال هذه عمل هذه التصميم واللوحات من إيجاد ورسم أرضيات رائعة وجميلة إمتدت على طول الصحن الرئيسي للكنيسة من الشرق نحو الغرب، وكذلك غطت هذه الأرضيات منطقة هيكل الكنيسة حيث إحتوت على مجموعة من المناظر الهندسية المتداخلة مع بعضها البعض شكلت في مجموعات ولوحات فنية رائعة تعبر عن مدى دقة ومهارة الفنان البيزنطي.

لقد تم جلب البلاطات الرُخامية لموقع الكنيسة من بعض الابنية القديمة النبطية المهدامة ، حيث أعيد إستخدامها في رصف هذه الأرضيات، لكن للأسف فإن مُعظم هذه الأرضيات قد تعرضت للتدمير والسرقة سواء من جراء العوامل الجوية أو بفعل السكان المحليين¹¹.

أما النوع الثاني فهو الأرضيات الفسيفسائية: من المعروف للجميع أن فن الفسيفساء يعتبر من أهم مظاهر الفن المسيحي الذي إزدهر وتطور خلال العصر البيزنطي وقد أستخدم هذا الفن في عرض وتصوير الموضوعات الدينية المستوحاة من العهد القديم والحديث داخل الكنائس البيزنطية¹²، ولم يقتصر فن رسم الفسيفساء على رسم الموضوعات الدينية فقط بل إمتد إلى الموضوعات الأخرى التي تمثل مظاهر الحياة اليومية .

لقد تم تغطية الجناحين الشمالي والجنوبي لكنيسة البتراء الرئيسية بهذا النوع من الزخارف المتنوعة وقد تم العثور على هذه اللوحات بحالة جيدة باستثناء بعض اللوحات القليلة التي تعرضت للتدمير والحرق والسرقة ، فقد جاءت على النحو التالي:

3- أرضية الجناح الشمالي:

يمتد الجناح الشمالي لكنيسة البتراء الرئيسية من جهة الشرق إلى الغرب بأبعاد (22×3.20 متر)¹³ ، ويحتوي هذا الجناح على مدخلين يؤديان إلى الغرف الداخلية للكنيسة ومن ضمنها تلك الغرفة التي عثر بها على اللفائف والبرديات المحترقة، أما فيما يتعلق بأرضية هذا الجناح فقد إحتوى هذا الجناح على (28) صفا " أفقيا" من الإطارات التي تحتوي على العديد من اللوحات والمناظر والرسومات الفسيفسائية المتنوعة والتي تمثلت بعناقيد الكرمة ، وقد إحتوى كل صف من هذه الصفوف على ثلاثة إطارات دائرية حملت بين ثناياها أشكالاً " آدمية ونباتية وحيوانية مثل الاوزة والبطة والغزال والديك والأسماك والدببة والخنازير بالإضافة إلى أشكال بعض الأواني الفخارية والاشجار"¹⁴، وقد بلغ عدد هذه المناظر حوالي (84) لوحة ومنظر مُختلف، فعلى سبيل المثال جاء الصف الأول يحتوي على بعض المشاهد المتنوعة مثل منظر لخروف بوضع جانبي يتجة نحو اليسار، ومظهر لانية تشبة المبخر، بينما ظهر في الصف الثاني شكل حمامة جاءت بوضع جانبي تتجة أيضا " نحو اليسار، بينما الصف الثالث يظهر منظر لفتى بملامح إفريقية يحمل بيده قاروره ويتجة نحو اليمين، بينما الصف الثامن مثلاً" يحتوي على منظر لديك جاء بوضع جانبي يتجة نحو اليسار وشمعدان دائري بمنتصفة شمعة، وظهر في الصف الحادي عشر منظر لثور بوضع جانبي يتجة نحو اليسار وإناء على شكل مزهرية، وفي الصف الرابع عشر وجد منظر لدجاجة بوضع جانبي ومنظر لنسر، بينما ظهر في الصف السابع عشر شكل لإناء ثنائي

الأضلاع وشكل دب بوضع جانبي يجلس بشكل قرفصائي، وكذلك في الصف الرابع والعشرون ظهر منظر لغزال رأسه للأسفل ويتجه نحو اليسار، بالإضافة إلى منظر لإناء تعرض للتدمير، وكذلك منظر لغزال تعرض للتشويه والتدمير، بينما جاء الصف الخامس والعشرون يحتوي على منظر ومشهد لرجل يشرب من جرة ماء تعرض جزء منها للتدمير، وكذلك هناك منظر لكلب يرفع رأسه للأعلى، وأخيرا" ظهر في الصف الثامن والعشرون منظر لطاووس بوضع جانبي ومنظر لإناء تخرج منه عروق الكرم.

4- أرضية الجناح الجنوبي:

يمتد الجناح الجنوبي لمبنى الكنيسة من الشرق باتجاه الغرب وينتهي بالجهة الشرقية بحنية نصف دائرية تحيط بالحنية المركزية للكنيسة ، وقد جاءت أرضية هذا الجناح مملوءة باللوحات الفسيفسائية الرائعة والتي تبلغ مساحتها حوالي (3.40×23.25 متر)، حيث احتوى هذا الجناح على ثلاثة صفوف أفقيه من الإطارات دائرية الشكل إشتملت على الكثير من المشاهد والمناظر واللوحات الفسيفسائية المتنوعة منها المربعة ومنها مُستطيلة الشكل جاءت في مُعظمها على خلفية بيضاء اللون حملت في مُجملها أشكالاً نباتية وحيوانية وصُور لبعض الأشخاص وبعض الرُُموز والأشكال التي تشير إلى واقع الحياة الاجتماعية¹⁵، وقد بلغ عدد هذه المناظر واللوحات ما يقارب من (52) لوحة ومشهد.

من خلال مشاهدة أرضية هذا الجناح يُمكن القول بأن أرضية هذا الجناح مماثلة للجناح الشمالي من حيث الزخارف والموضوعات سواء أكانت حيوانية أو نباتية أو آدمية، ومن الامثلة على ذلك مناظر لحيوانات مثل الغزال والبطه والنسر والثور والبطه والدولفين وأسماك وأشكال آدمية كتب فوقها باليونانية كلمات تدل على فصول السنة مثل منظر لرجل يحمل بيده حقيبة كتب فوقه رأسه كلمة باليونانية تدل

على فصل الخريف ، ومنظر آخر لأمرأة شبه عارية تحمل بيدها اليمنى منجل واليد اليسرى حزمه من القمح وهذا ربما يجسد فصل الصيف¹⁶ ، وكذلك هناك منظر آخر جاء على شكل صياد السمك وهو يحمل بيده اليسرى سمكه، وهناك لوحة أخرى جاء ت لرجل يحمل بيده اليمنى كتاب ضمن إطار مربع كتب فوق رأسه باللغة اليونانية (COOIA) وتعني المعرف، وهناك لوحة أخرى تظهر الجزء العلوي من جسد امرأة كتب فوق رأسها باليونانية (EAPINH) وتعني الربيع، ومشهد آخر لرجل أو صياد سمك يحمل بيده اليمنى لوح تجديف يقف أمامه قارب وقد كتب فوق رأسه باليونانية أيضا" (WKEANCO) وتعني البحر، وهناك لوحة أخرى ذات إطار مربع جاء داخل الجزء العلوي لجسد امرأة كتب فوق رأسها باليونانية كلمة (INH) وتعني الأرض، بالإضافة إلى منظر يظهر الجزء العلوي لامرأة كتب فوق رأسها باليونانية (XIMEPINH) وتعني فصل الشتاء¹⁷ .

أما الساحة المكشوفة في هذه الكنيسة فتقع في الجهة الغربية من المبنى وهي عبارة عن فناء مكشوف مُحاط بالأعمدة من جهاته الثلاث ويبلغ طول ضلع هذا الفناء حوالي (15.5) متر وقد رصفت أرضية هذا الفناء ببلاطات رُخامية، وفي الجهة الشمالية الشرقية لهذه الساحة يوجد مدخل يؤدي إلى مجموعة من الغرف المحيطة بمبنى الكنيسة¹⁸ .

أما معمدانية الكنيسة فتقع إلى الغرب من الساحة المكشوفة وتتكون من ثلاثة غرف يتم الدخول إليهما من هذه الساحة ويبدو أن الغرفة الثانية قد خصصت للتعيمد كونها تحتوي على حوض للتعيمد الذي وضع في كل زاوية من زوايا هذا الحوض عامود من الحجر الجيري التي بدورها حملت المظلة التي كانت تعلو حوض المعمودية، ومن خلال الحفريات المتعاقبة لوحظ انه لا يوجد نظام مائي مُعين يزود

الحوض بالماء كالقنوات بل كان يتم تزويد الماء بشكل يدوي حيث وجد في الزاوية الجنوبية لهذه الغرفة جرن حجري كبير مما يشير إلى استخدامة لتزويد حوض التعميد بالمياة.

أما منطقة الهيكل والمذبح فترتفع منطقة الهيكل عن مستوى أرضية صحن هذه الكنيسة بواسطة منصة تبلغ أبعادها (5.20×7.40 متر) يتم الصُّعود إليها بواسطة درجتين وتنتهي هذه المنصة من الجهة الشرقية بكنية مركزية نصف دائرية مُحاطة من الداخل بأربعة صُفوف من المقاعد جاءت بشكل نصف دائري وهي مُخصصة على ما يبدو لرجال الدين وقد تعرض جزء كبير من هذه المقاعد للتدمير.

من خلال الدراسات والأبحاث لوحظ أنه تم فصل منطقة الهيكل عن صحن الكنيسة والاجنحة الجانبية بواسطة حواجز رُخامية (Chancel Screen) والتي جاءت على شكل أعمدة رُخامية بارتفاع متر واحد عليها زخرفة بشكل صليب وقد إشملت منطقة الهيكل على مدخلين في الطرف الشمالي والجنوبي، أما منبر هذه الكنيسة (Ambo) فيقع في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل وقد عثر على أساسات هذا المنبر وهي مكونة من قاعدة رخامية ذات شكل سُداسي يتم الصُّعود إليها بواسطة درجات ترتفع للأعلى عن أرضية الهيكل.

وكذلك إحتوت هذه الكنيسة من جهة الغرب على ساحة مربعة مكشوفة تتقدم الكنيسة (Atrium) ضمت في وسطها بئر لجمع المياه ويبلغ طول ضلع هذه الساحة حوالي (15.5متر) وهي مبلطة ببلاط حجري قواعدها ترتفع قليلا" مما يدل على أنها كانت مسقوفة، ومن مرفقات هذه الكنيسة أيضا" أن هناك عدد من الغرف الجانبية وبئر أو صهريج كبير إستخدم لجمع المياه.

ومن خلال الحفريات المتعاقبة على موقع هذه الكنيسة تم العثور على الكثير من قطع أحشاب السقف وعدد من المسامير المعدنية والصلبان وأجزاء من المذبح والمنبر وبعض مقاعد رجال الدين خاصة في منطقة المحراب، وكذلك تم العثور على عدد من زجاج النوافذ وبعض المصابيح التي كانت تستخدم في إضاءة الكنيسة وبعض القطع الفسيفسائية المتناثرة والقرميد وبعض الكسر من الجص¹⁹.

وأثناء عمليات الحفر المتواصلة أيضا" في موقع الكنيسة تم الكشف عن برج يعود للكنيسة ربما أنه بني في مراحل لاحقة لبناء الكنيسة ويقع هذا البرج في الجهة الغربية من الكنيسة حيث تكون هذا البرج من غرفة مربعة الشكل طول ضلعها (3×4 متر) ولها مدخل واحد يتوسط الجدار الشرقي وبلغ إرتفاع جدران هذه الغرفة حوالي (3) أمتار وأرضيتها مبلطة ببلاط حجري، وقد عثر في أرضية غرفة هذا البرج على عدد كبير من الكسر الزجاجية وبعض الاسرحة والأكواب الفخارية، ويُستدل من ذلك أن هذا البناء كان يُستخدم كبرج للمراقبة.

وخلال عمليات التنقيب في عام 2004 ميلادي تم الكشف في منطقة المحراب الجنوبي من الكنيسة على ستارة المذبح الرخامية وهي بحالة مهشمة وقد تم ترميمها وإعادةها الى موقعها الأصلي بالإضافة الى العثور على إناء كبير من الرخام الأبيض المموج بالأسود وجد على طرفية منظر لبؤتان على شكل مقبض ربما أستخدم هذا الإناء للتعميد ، وقد عثر على هذا الإناء محترقا" ومهشما" بين صف الأعمدة الفاصل بين الرواقين الجنوبي والأوسط ولم تحري عليه أي عملية ترميم أو صيانة²⁰.

وخلال المواسم اللاحقة لعمليات التنقيب والحفر في موقع الكنيسة تم العثور على خاتم روماني محفور عليه رأس بشري وكتابة لاتينية بالإضافة إلى ختم برونزي عليه

كتابة أيضا" لاتينية وعدد كبير من قطع الرخام الأبيض المموج باللون الأسود وكذلك تم العثور على عدد من جرار التخزين الفخارية وأواني الطبخ الفخارية المكسرة وبعض قطع الزجاج وبعض المصابيح والاسرجة.

لقد تعرضت الكنيسة للحرق والتدمير خلال الزلزال الذي ضرب المنطقة في عام 551 ميلادي حيث عثر على كميات كبيرة من الأخشاب المحترقة، وقد عثر أيضا" على العديد من رؤومات الأرضيات الفسيفسائية التي أصابها نوع من التلف والتشوية ويعتقد بأن هذه الكنيسة هجرت بعد عام 630 ميلادي لان أسقف البتراء قد إنتقل إلى مدينة الكرك حيث تم العثور على نقش يشير إلى نقل الأسقفية من البتراء عاصمة فلسطين الثالثة إلى قرية الربة في منطقة الكرك²¹.

وفي كانون أول عام 1993م وبإحدى الغرف المرفقة للكنيسة وفي الزاوية الشمالية الشرقية منها والتي يُعتقد أنها غرفة حفظ الأرشيف تم العثور على لفائف محروقة تعرف اليوم بلفائف أو برديات البتراء (Petra Scrolls)²²، وقد وجدت بحالة متفحمة نتيجة لحريق شب في الكنيسة مما أثر في حالة هذه اللفائف²³، ويبلغ عدد هذه اللفائف والمخطوطات حوالي (152) بردية وجد منها (30) بردية أو مخطوطة كاملة والباقي وجدت بقطع صغيرة²⁴ وتعتبر هذه البرديات من المصادر الأساسية لدراسة التاريخ الاقتصادي والتجاري لمنطقة البتراء خاصة خلال فترة القرن السادس الميلادي وقد وجدت هذه الوثائق مكتوبة باللغة اليونانية²⁵، حيث تحدثت هذه الوثائق عن الفترة ما بين 528-582 ميلادي²⁶.

ومن المؤكد أن هذه البرديات لم يتم تخزينها في جرار فخارية كمخطوطات البحر الميت أو مثل البرديات التي عثر عليها في مصر ولكن يبدو أن الطريقة التي تم تخزينها

هي طريقة مُماثلة للبرديات التي عثر عليها في منطقة النقب عام 1935 ميلادي وهي طريقة الحفظ داخل صناديق زجاجية أو في أكياس من النسيج²⁷.

ومن خلال تحليل وقراءة بعض هذه البرديات أوضحت البرديات أرقام (5+1) عملية نقل ملكية أراضي زراعية من شخص لآخر وتذكر هذه البرديات إسم موظف الضرائب الذي قام بهذه العملية وإسمه (أثينوس) حيث كان يعمل في مكتب الضريبة في البتراء ومسؤولاً عن عملية جمع الضرائب، كما أظهرت البردية رقم (4+5) أن هناك بعض الأراضي الزراعية قد سُجلت بأسماء غير أصحابها الأصليين للتهرب من دفع الضريبة²⁸، كذلك أوضحت البردية رقم (10) بعض أسماء المواقع الزراعية وعيون المياه والتي ما زالت تحتفظ بالأسماء نفسها حتى اليوم مثل عين البصة وعين الرفيد وأم لوزة والبريكة²⁹، كما أظهرت هذه البردية أن سكان منطقة البتراء قد إستخدموا نظام المصاطب في ري وزراعة الأراضي والاستفادة من المياه³⁰، كذلك أظهرت هذه البردية عن وجود بساتين الفاكهة الكثيرة بجانب المساكن والكنائس وقد سميت بأسماء عربية مثل (جنة السلام ودار العباد)³¹، كذلك أظهرت البردية رقم (20) عدداً من الأمور والمواضيع التي تتعلق بعقود البيع والشراء أو تسوية الديون ويبلغ طول هذه البردية حوالي (4) أمتار³².

وفي البرديات ذوات الأرقام (6+67+69) أظهرت هذه البرديات أن مدينة البتراء الاثرية لا زالت تحتفظ بصورتها الفخمة والعريقة خلال فترة القرن السادس الميلادي حيث حازت على لقب (مُسْتَعْمَرَة إمبرطوريه وكذلك لقب الأم المقدسة للمستعمرات ولقب هديران - البتراء عاصمة فلسطين الثالثة)³³، وفي البردية رقم (49) فقد ورد ذكر لآنية نحاسية أو فضية كانت تستخدم لوضع الشموع فيها للإضاءة داخل الكنائس ويبدو أن هذه الآنية كانت تستخدم أيضاً لأداء بعض الطقوس الدينية

داخل الكنائس، وفي البردية رقم (69) فقد ورد بها أن هناك ضريبة عينية تعطى للجنود كانت تؤخذ عنوة من المواطنين، وأشارت هذه البردية أيضا "إلى قيام أحد المتبرعين قبل وفاته بتسجيل كافة أملاكه ومزارعة للمواطنين وقد نظم هذا التبرع بعقد تجاري".³⁴

تعتبر البردية رقم (83) من أكبر البرديات التي تم العثور عليها داخل غرفة كنيسة البتراء وهي محفوظة بشكل جيد وتحدث هذه البردية عن وجود خلاف بين شخصين حول عين ماء وقد حل النزاع عن طريق تدخل بعض الوسطاء وتؤرخ هذه البردية إلى عام 574 ميلادي.³⁵

وبشكل عام فقد جاءت محتويات هذه البرديات تبحث في العلاقات التجارية المميزة بين مدينة البتراء ومدينة غزة الفلسطينية وكذلك عقود تجارية ووثائق ضريبية وأمور إجتماعية ووثائق وعقود بيع وشراء أراضي حيث كانت المحكمة الكنسية مسؤولة عن هذه العمليات وكذلك عقود زواج وبعض الشكاوي من الأهالي ومن هذه الوثائق ما يتناول النزاعات حول ملكية الأراضي وأمور تتعلق بالميراث³⁶، حيث وجدت كتابة النصوص على الوجهين وكذلك إحتوت هذه الوثائق على العدد من أسماء المواقع الجغرافية في المنطقة وورود بعض الألفاظ العربية وأسماء بعض الالهة الوثنية واليونانية والرومانية مما يشير إلى إستمرارية التقاليد والعادات النبطية في مدينة البتراء خلال فترة القرن السادس الميلادي.³⁷

كذلك أوضحت البرديات المكتشفة أهمية الاساقفة في البتراء حيث ذكرت هذه الوثائق أن هؤلاء الاساقفة هم حماة ومدافعين عن السكان المحليين من الظلم والاستبداد الذي قد يقع عليهم من قبل كبار التجار والأثرياء، كما بينت هذه البرديات بعض الوظائف الكنسية التي وجدت في مدينة البتراء خلال الفترة البيزنطية مثل الاساقفة والشماسنة والقساوسة والرهبان³⁸، وكذلك أثبتت ووفرت هذه البرديات

أدلة قوية تشير إلى أن جنوب الأردن وخاصة منطقة البتراء كانت مكتظة بالسكان في العصر البيزنطي³⁹.

من هنا يمكن القول أن معظم محتويات هذه البرديات جاءت مركزة على عقود وملكية الأراضي الزراعية وبيعها والضرائب وهذا يشير إلى قدرة ومحافظة مدينة البتراء على إقتصاد فعال وإدارة محلية ناجحة كون الزراعة كانت العمود الفقري للاقتصاد في مدينة البتراء لحياة السكان المحليين والدليل على ذلك ما تم العثور عليه من منظومة رئيسية متطورة لأنظمة المياه والري مثل إقامة قنوات المياه والخزانات والآبار والسدود وذلك خلال القرن السادس الميلادي⁴⁰. ومن الجدير بالذكر أنه لغاية الآن تم نشر مجلدين يحتويان على قراءة وتحليل لهذه المخطوطات وما يزال البعض الآخر قيد الدراسة. ومن خلال ما تقدم وعلى ضوء الحفريات المتعددة لموقع هذه الكنيسة يمكن تأريخ هذه الكنيسة إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي.

الهوامش:

01 قادوس، عزت، آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. 2011. ص 280

02 Hammond, PH, Petra, BA, Vol: 23. 1960. P29-32

03 قاقيش، رندة، عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردن في العهدين البيزنطي والأموي، دار ورد للطباعة والنشر، عمان. 2007. ص 90.

04 Davies, J, *The Origin and Development of Early Church Architecture*, London. 1952. P24

05 Davies, J, *op.cit.* PP16-17

الشباب، عدنان ، التطور المعماري لكنائس جرش خلال العصر البيزنطي ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة اليرموك، الأردن . 1995. ص 17 .

06 Davies, J, op.cit. P22

07 Gagos, T, & Frosen, J, *Petra Papyri*, **ADAJ**, Vol:42.1998. P29.

08 Mango, C, *Byzantine Architecture*, London.1986. P40

09 العارف، عائدة ، مدارس الفن القديم ، دمشق ، دار صادر للنشر والطباعة. 1982. ص 27

10 Schick, R, Fiema, Z, *The Petra Church Project 1992-1993, A preliminary Report*, **ADAJ**, Vol:37.1993. PP55-66.

11 Bikai, P, *Petra Church: Pavement of the Nave*, **ACOR**, VOL:9, 1997. P7

12 Avi-Yonah, M, *Early Church*, *Encyclopedia of Archaeological Excavation in the Holy Land*, VOL:1, 1975. P309.

13 Schick, R, *The Settlement Pattern of Southern Jordan: The Nature of the Evidence*, *Darwin Press*, 1993. OP. 1-3

14 Schick, R, Fiema, Z, op.cit. P56

15 Schick, R, Fiema, Z, op.cit. P 56

16 Schick, R, Fiema, Z, op.cit., P60

17 Schick, R, Fiema, Z, op.cit., P61

18 Fiema, Z, *The Petra Project*, **ACOR**, 1993, Vol:5. P1-3

19 Fiema, Z, et al, 1995. P297

20 المحيسن، زيدون ، الحضارة النبطية، مؤسسة حمادة للدراسات والطباعة والنشر، عمان 2012. ص 176

21 Schick, R, op.cit., P142.

22 Gonis, N, *Papyri from Petra*, *The Classical Review publishes*, VOL:55.2006. PP655-657.

؛ Koenen, L, *The Carbonized Archive from Petra*, **JRA**, Vol: 9, 1996. P177-188
Peterman, G, *Discovery of Papyri in Petra*, BA. 1996. P55

24 Lehtinen, M, *Petra Papyri*, **NEA**, Vol: 65.2002. P277-278.

25 Frosen, J. et al, *The Finnish Jabal Harun Project Report*,
ADAJ, Vol:42, 1998. PP484-502.

26 Koenen, L, 1996, PP177-188

Koenen, L, *Update on The Petra Papyri*, **ACOR**, Vol:7.1995. p9

27 Peterman, G, op.cit. P57

- 28 Frosen, J, Arjava, A, Lehtinen, M, Fiema, Z, The Petra Papyri, **ACOR**.2002.P72
- 29 Frosen, J, Arjava, A, Lehtinen, M, Fiema, Z, op.cit. PP.4-6.
Caldwell, R, *Between State and Steppe New Evidence For Society in Sixth-Century Southern Trans Jordan*, (Research Unpublished PhD thesis, University of Michigan, USA.2001.P76
- ؛ Koenen, L, 1996.PP187-188
- 30 Kouki, P, *Archaeological Evidence of Land Tenure in the Petra Region, Jordan: Nabataean-Early Roman to Late Byzantine*.**JMA**, Vol.22.2009.P50
- ؛ Koenen, L, 1996.P185
- 31 Gagos, T.&frosn,J, op.cit.P473
- 32 Gagos, T.&frosn,J, op.cit.P478
- 33 Koenen, L, 1996.P187
- 34 Koenen, L1996.P194
- 35 Peterman, G, op.cit.PP55-57
- 36 Bikai, P, op.cit.P484؛ Frosen, J, op.cit.PP141-144
- 37 Frosen, J, 1994.P3
- 38 Fiema, Z, 1992.P215
- 30 Caldwell, R, op.cit.P243
- 40 Koenen, L, 1996.P183 , Gagos, T.&frosn,J, op.cit.P 478